الزيتونيون والشعر التونسي الحديث

محمد علي آذرشب*

ملخّص

تأثر جامع الزيتونة بالنهضة التي أطلقها السيد جمال الدين، فبادر إلى إصلاح مناهج التعليم، ورافق هذه الحركة الإصلاحية حركة في الشعر بين الدارسين والمدرسين في الزيتونة، فكان التجديد في الأسلوب وفي المحتوى، رافق ذلك اتجاه الشعر إلى استنهاض الشعور والدعوة إلى التخلص من الذلّ والهوان، واستعادة العزّة والكرامة، وفي المقال أسماء بعض الشعراء الزيتونيين وتوجههم في الشعر.

* - أستاذ في جامعة طهران.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة:

بوادر النهضة تظهر أول ما تظهر في الأدب. هكذا كان الأمر في نهضة هذه الأمة خلال القرون الهجرية الأولى، وهكذا كان وضع النهضة الأوربية الأخيرة. الأدب يبرز ليعبّر عن إرهاصات نهضة بدأت تدبّ في جسد الأمة، ويتواصل تطوّر الأدب مع تطوّر النهضة وينتكس بانتكاستها.

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهرت بوادر نهضة في العالم الإسلامي بعد أن صُدم بالغرب، وتبين له زيف ما كان يطلقه من شعارات الحرية والتقدم وحقوق الإنسان، وظهر السيد جمال الدين الأسد آبادي المعروف بالأفغاني ليقدم مشروعًا جمع بين الأصالة والمعاصرة، وأحدث في العالم الإسلامي عامة وفي مصر خاصة، ومن ثمّ في شمال أفريقيا، هزّة وجهته نحو هويته، وأشعرت أبناءه بالعزّة ووضعت أمامه المشروع الإسلامي باعتباره الطريق الأفضل لتجاوز حالة التخلّف والوصول إلى الأهداف المرجوّة في التقدّم والتحرّر.

امتدّت هذه الصحوة من مصر نحو المغرب العربي، وكانت الزيتونة أول المتأثرين بها، فاتجهت، بقيادة شخصيات تأثرت مباشرة أو بصورة غير مباشرة بدعوة السيد جمال الدين، نحو تغيير المناهج القديمة في التدريس لتواكب التطورات المعاصرة [1]، وهذا الحراك الواعي رافقه ظهور حركة شعرية في تونس منطلقها الزيتونة. ولذلك كانت حركة لإيقاظ الشعورة والدفاع عن القيم الإسلامية، وحثّ الأمة على مواجهة التحديات بقوّة واستقامة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جامع الزيتونة

هو ثاني جامع بُني في أفريقية (وهذا هو الاسم القديم لتونس) بعد جامع عقبة بن نافع بالقيروان (القيروان مدينة تونسية كانت مقرًا للقوافل، والقافلة في الفارسية كاروان وتحوّل اسمها إلى قيروان).

هذا الجامع مثل سائر جوامع العالم الإسلامي كان «جامعة» علميّة تخرّج فيها أجيال العلماء في مختلف فنون المعرفة، من أشهر خريجي هذا الجامع في القديم العلامة عبدالرحمن ابن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦م) وفي العصر الحديث تخرّج فيه كبار رجال الإصلاح في المغرب العربي من أمثال: الشيخ محمد الخضر حسين (١٨٧٣ - ١٩٥٨) والعلامة محمد الطاهر بن عاشور (١٨٧٩-١٩٧٣م) وابنه محمد الفاضل (١٩٠٩ - ١٩٧٠) وشاعر تونس الكبير أبو القاسم الشابي (١٩٠٩ - ١٩٣٤) وتخرّج في هذا الجامع كبار رجال الإصلاح الجزائريين، وعلى رأسهم عبدالحميد بن باديس (١٨٨٩-١٩٤٣) . ونقف في هذا المقال عند اقتران النهضة في جامع الزيتونة بنهضة الشعر في تونس.

محمد الخضر حسين[٢]

من أوائل المتأثرين بالصحوة الإسلامية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولد في سنة ١٨٧٣ بتونس، درس في الزيتونة ثم هاجر إلى الشام ومنه إلى تركيا، ثم استقر في مصر، واشتغل بالتدريس في الأزهر، وتولى مشيخة الأزهر لمدة سنتين (١٩٥٢-١٩٥٤). وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٥٨.

تعرضت الهوية الإسلامية في تونس لتهديد خطير حين فرضت فرنسا حمايتها على تونس سنة ١٨٨١، فكان الهاجس الأول لدعاة النهضة في هذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البلد المحافظة على اللغة العربية التي كانت غرضًا لسهام الغزو الثقافي الفرنسي، وعلى القيم الإسلامية التي واجهت تحديًا أمام القيم الغربية.

كانت الزيتونة مهد هذه النهضة، وتبلور عملها في جمعيات ثقافية وعلمية أشهرها الجمعية الخلدونية تأسست سنة ١٨٩٦، ونادي قدماء الصادقية تأسس سنة ١٩٠٥. وازداد نشاط هذه الجمعيات بين الحربين العالميتين، وتركزت الأصالة في أعمالها بعد أن تبخرت الآمال التي عقدها بعضهم على مبادئ الرئيس الأمريكي ولسن الداعية إلى خلاص الشعوب من الاستعمار، وبعد سقوط الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤.

وإذا كان السيد جمال الدين في مصر عاملاً هامًا في تطوير الشعر على يد رائد الشعر العربي المعاصر محمود، سامي البارودي، وفي تطوير النثر على يد محمد عبده[٣]. فإن الشيخ محمد الخضر حسين، بسبب ما حمله من روح نهضة دينيّة، كان عاملاً على تطوير الشعر التونسي الحديث.

أسس مجلة السعادة سنة ١٩٠٤ دافع فيها عن اللغة والأدب باعتبارهما وعاء الدين ولسانه، «وسعى بنفسه إلى تجاوز الأغراض الشعرية القديمة ونشر قصائده الداعية إلى الإصلاح والأخذ بأسباب الحضارة تحت عنوان: «الشعر العصري»[٤].

هذا التوجه إلى الشعر العصري شجع الشعراء على الثورة على أنفسهم، ونبذ التقاليد السائدة، والتماس الموضوعات الجديدة. وكان أول ما نشر في هذا المجال قصيدة للشاعر القيرواني صالح سويسي مطلعها:

أفيقوا يا بني الوطن المعلّى فقد طالت بكم سِنة الرقادِ

كان الدفاع عن اللغة العربية موضع اهتمام كبير في أدب الشيخ محمد الخضر حسين، بسبب ما كانت تواجهه ـ كما ذكرنا ـ من تحديات أمام الغزو الفرنسي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في قصيدة تحت عنوان حياة اللغة العربية يقول فيها:

لغـــــة أودع في أصـــــدافها مـن قـوانين الهـدى أبهـى دُرَرْ
لغـــة نهصُرُ مـــــن أغصانها زهـــرُ آداب وأخـــلاق غُرَرْ

وبإشارة رائعة يقول إن ما تعانيه اللغة العربية في أهلها من جفاء إنما هـو بسبب جفاف الروح الحضارية لديهم، لأن اللغة تحـيي بحيـاة النـاطقين بهـا. فتفاح لبنان لا ينمو على حَسَك السعدان، وزهر الـروض وهـشيم المحتـضر يستويان في نظر المبتلى بالعشو في عينيه، يقول:

نفـــروا عنـــها لَـــواذاً وإذا جفّ طبـع المـرء لم تغـن النُـذُرْ
مـا زكـا تفـاح لبنـان علـى حَـسَكِ الـسعدان في ذوق مَـذِرْ
هكذا في نظـــر الاعشى استوى زهرُ روض وهشيـــم المحتضـــر

ثم يدعو قومه إلى إحياء اللغة العربية ضمن دعوته إلى حياة الأمة، يقول:

يـــالقومي لوفـــاء إن مَـــن نكثَ العهد أتـى إحـدى الكبِـرْ
فـــأقيموا الـــوجه فـي إحيائها وتـــلافوا عَقـــدَ مـــا كان انتثرْ

صالح سويسي[٥]

ذكرنا أن صالح سويسي اندفع إلى التجديد الشعري على أثر دعوة الشيخ محمد الخضر حسين. ولد بالقيروان سنة ١٨٧١ وتـوفي سـنة ١٩٤١. وكـان يضع لأشعاره توقيع «شاعر الإصلاح الاجتماعي». وهـو أول مـن مـارس الفن الروائي في تونس سنة ١٩٠٦.

دفاعه عن القيم الإسلامية يتجلّى فيما يتجلّى بدعوتـه إلى نبـذ التـبرّج وإلى العفاف وإلى الحجاب يقول مخاطبًا ابنته رشيدة:

أرشـيدة قلـبي الخفـوق رعـاكِ عيشي وسُـرّي بالعفـافِ أبـاكِ..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عيـشي كجـدتكِ البتـول ببيتِهـا وعــن التــبرّجِ والهــوى أنهــاكِ
لا تكشفــي منكِ الحجابَ فإنه صـــونٌ بـــه رضّينَ مَنْ ربّاكِ

محمد العربي الكبادي[٦]

ولد بتونس سنة ١٨٨٠ وتوفي بها سـنة ١٩٦١، درس بالزيتونـة ودرّس بها (١٩٠٣-١٩١٣)، ولعلّه أول شاعر تونسي في العـصر الحـديث دعـا في شعره إلى تلمّس الجانب الشعوري والجمالي في الـشعر، وهـو بـذلك توجـه بالشعر إلى ملامسة العاطفة الإنسانية العميقة، والى تـذوّق الجانـب الجمـالي فيه.

وحول أهمية الشعر في كشف أسرار الكون حين يجري على لسان الشعراء الصادقين، أي أصحاب التجربة الشعورية الصادقة يقول:

ولِـعَ النــاسُ حــديثًا وقــديما بنفــيس القــولِ نثــرًا ونظيمــا
لكـــن الـــشعرَ لـــه منزلـــة في قلوب القوم قد تعلو النجومـا
كــم أمــور وقــف الفكــر علــى طرقهـا لا يعـرف النـهج القويـا
كــشف الــشعر لــهُ أســرارها فمضى يـسلك منـها المـستقيما
وأخـــو الـــشعر مـــلاك صـــالح كلّمـا كـان علـى الحـقّ مقيمـا
فـــإذا مـــا كان من أهل الهوى كان شيطانًا على الناسِ رجيمـا

وفي صورة رائعة يقدّم لوحة يجمع فيها بين جمال الطبيعة وجمال الإنـسان، وكأنّه يريد أن يفتح الأعين على جماليات الكون يقول:

شمـيم الزهـر مـن مُتـعِ الحيـاة علــى نغــم الطيــور المطربــاتِ
ومنظــره الجميــلُ لــه جمــالٌ يلــين بلطفــه قلــبُ القُــساةِ
يريك بحـسنه حـسنَ العـذارى وبالنفحـــات ريـــحَ الغانيـــاتِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يـــذكّر بالخـــدودِ الـــوردُ منـــه ونرجـــسُهُ بألحـــاظِ المهـــاةِ
ومـــا يبدو على الأغصانِ منـــه يـــذكّر بالقـــدودِ الـــمائساتِ

الصادق الفقي[٧]

ولد بصفاقس (عاصمة الجنوب التونسي) سنة ١٨٩٥ وتوفي بها سنة ١٩٧٩، تخرّج من الزيتونة، واتجه في شعره نحو استنهاض الهمم للتخلص من حالة التخلف والتمزّق، ونحو القضاء على الجهل بطلب العلم والمعرفة. إنها دعوة إلى عودة الحياة إلى الشعب التونسي، وهي دعوة الدين نفسه رفعت لواءها الزيتونة بعد أن تحركت تحت لواء الإسلام. يقول:

يا تونس ارتزقت من أرضك الأمم كيـــف استذل بنيك النحسُ والسقمُ
ياجنة كنتِ بالجـــوزاء ساخرة حتى دهتك دواهي البأس تَنتَقِمُ

بعد أن يذكر أمجاد تونس يرى أن السبب فيما حلّ بها من تدهور يعود إلى الجهل، ولذلك يدعو إلى العلم بالقول:

نعم تلاشت وذئب الجهلِ شتتها فالشملُ مفترق والشعب منقسِمُ
قد يفعلُ الجهلُ بالتيجانِ مافعلت أسودُ غابٍ بسربِ الوحشِ تلتقمُ
إني رأيتُ وفي التاريخِ موعظةٌ أن لا حياةَ بغيرِ العلمِ تُحتَرَمُ
ولا ملوكٌ ولا مجدٌ ولا شرَفٌ ولا سيوفٌ إذا لم يحمِها القَلَمُ
من المعارفِ جيشُ الشعبِ إن نَقَصت عنه المعداتُ والإمدادُ ينهزمُ

الطاهر الحَدّاد[٨]

ولد بتونس سنة ١٨٩٩ وتوفي سنة ١٩٣٥، زيتوني التكوين، لعلّه أول شاعر تونسي في العصر الحديث غاص بشعوره للبحث عن أسباب تخلّف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مجتمعه. وقف عند مظاهر البؤس والفقر فرأى أنها سدًا مانعًا أمام عودة الحياة. يقول:

دمعة البؤس أنّة الضيمِ تمشي ... في غضون الزمان داءاً كمينا
ظلمة الفقر صفعة الذلِّ تبدو ... في سبيل الحياةِ سدًا متينا

من الطبيعي أن يكون البؤس والضيمُ والفقر والذلُّ عوامل تقضي على روح الحياة في الأمة، لكنّ الأهم من ذلك أن الشاعر يرى أن هذه المظاهر يمكن أن تتحول إلى دوافع للحركة والثورة على الواقع الفاسد، وبدون هذه الثورة أو النار والنور كما يقول الشاعر فانها ستكون عوامل موت مُهين، يقول:

كل هذا إن لم تَبِنْ فيه نارٌ ... تُرسلُ النورَ كان موتًا مهينا
بؤسنا منبع الحياةِ ولكن ... هو كالكنز ظل سرًا دفينا
يوم نرتاده نجلّي سناه ... نرفع المجدَ رايةً لن تلينا
هكذا من قلوبنا ينبع المجدُ ... فيعلو في الأرضِ فتحًا مبينا

ويدعو الشاعر أمته للتمسك بأهداب القوّة لأن الله قويّ، وكيف للضعيف أن يدّعي أنه يسير على طريق القويّ المطلق، يقول:

قد عبدنا في الله ربًا قويًا ... وخضعنا للضعفِ يعبثُ فينا
ذلك الضعفُ حال شعب كليل ... عاش يرتادُ في الخرافات دينا
حال من عاشر المذلّة دهرًا ... سالمَ الشرَّ وانطوى مستكينا

وفي التفاتة رائعة يندّد باجترار مفاخر الماضي:

والابتعاد عن الواقع المتخلّف يقول:

فهولاه عن ذا بعزّة ماضٍ ... كان فيه الجدود فخرًا ثمينا
مات في الذلِّ كلُّ من عاشَ غِرًا ... أنكر العيبَ وارتضاه قرينا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم يخاطب المهزومين أمام تقدّم الغرب، ويقول لهم: هذا الغرب كان متخلفًا كالشرقِ اليوم، لكنّ ساحتهم شهدت من قادهم إلى العُلى ولم يظهر في الشرق مثل هؤلاء الرجال. يقول:

لم يك الغرب غير ما كان شرقٌ مثله قضى الحياةَ سفينا
فتصدى لها الرجال وثاروا يطلبون العُلى فذابوا حنينا
هؤلاء الرجال لم يلد الشر قُ مُناهم وما يزال ضنينا

أبو القاسم الشابي[٩]

ولد سنة ١٩٠٩ بقرية في الجنوب الغربي التونسي وتوفي سنة ١٩٣٤. درس في جامع الزيتونة، وهو أكبر شاعر أنجبته تونس. قدّم أروع أدب في الاستنهاض الشعوري.

أشهر قصائده الاستنهاضية «إرادة الحياة»، وأكثرها شيوعاً في العالم العربي والإسلامي. وفيها إشارات إلى سنن الكون والحياة، وأنّ قَدَرَ الإنسان هو ما تصنعه إرادته، وأن الأشواق المضطرمة في نفس الإنسان نحو الحياة هي التي تحافظ على وجوده. وشوق الحياة هو الشوق إلى الجمال والكمال والتطوير والسمّو:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بُدّ أن يستجيب القدرْ
ولابدّ لليل أن ينجلي ولا بُدّ للقيد أن ينكسرْ
ومن لم يعانقه شوق الحياة تبخّرِ في جوّها واندثرْ

سنن الكون كلها تدعو إلى أن يتجه الإنسان نحو الغايات البعيدة والاّ ارتكز في ذاتيته وأنانيته وأهدافه الصغيرة:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ودمـدمت الـريحُ بـين الفجـاج وفـوق الجبـال وتحـت الـشجر:
"إذا مـــا طمحـــتُ إلى غايـــة ركبـتُ المـنى ونـسيتُ الحـذر..
ومـن لا يحبّ صعـود الجبـــال يعـش أبـــد؛ الدهـــر بينالحُفر"

وبأسلوب آخر يبين هذه الحقيقة حين يـسأل الـشاعر الأرض عمّـن تحبّ وتكره:

وقالـت لي الأرضُ لمـا سـألت: "أيـا أمّ هـل تكـرهين البـشر؟"

وتجيبه الأرض:

"أبارك في الناس أهـلَ الطمـوح ومـن يـستلذّ ركـوبَ الخطـر
وألعـنُ مـن لا يُماشـي الزمـان ويقنـع بـالعيش عـيش الحجَـر
هـو الكـون حـيٌّ يحـبُّ الحيـاةَ ويحتقـر الميـت مهمـا كَبُـرْ
فـلا الأفـقُ يحضُنُميتَالطيور ولا النحلُ يلثـم ميتَ الزهـرْ

والأرض هنا هي سنن الكون التي تحكم الحياة، وحديث الأرض هـو حديث عن هذه السنن، وحديث الربيع معها هو ارتباط هذه الـسنن بيقظـة الإحساس، إذ يقول الربيع للأرض حين أعاد لها الشباب:

وقـال لهـا: قـد مُنحـت الحيـاة وخُلّـدت في نـسلك المـدّخَر
وباركـك النـورُ فاسـتقبلي شـبابَ الحيـاة وخـصبَ العُمُـرْ
ومـن تعبـدُ النور أحلامُـهُ يـباركُـهُ النـورُ أنّـى ظَهَر

وفي البيت الأخير إشارة إلى أن مشاعر الإنسان حين تتجه إلى السموّ في عالم النور، فتلك بركة الحياة.

ويختتم الشاعر قصيدته بالتأكيد على طمـوح النفـوس للحيـاة وأنهـا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أساس كل تغيير في الإنسان والمجموعة الإنسانية:

إذا طمَــحَتْ للحيـــاة النفوسُ فلا بُدَّ أن يستـــجيـــب القدر

ومن قصائده المشهورة أيضا: «فكرة الفنان»، وهي قصيدة على غاية من الأهمية في بيان فكرة الشابي عن الشعور ودوره في الحياة. فالشعور كما ذكرنا مصدر تحسّس الجمال ومصدر دفع الانسان في مسيرته التكاملية يقول:

عش بالشعور، وللشعور، فإنما دنياك كونُ عواطف وشعور
شيدت على العطف العميق،وإنّها لَتَجفُّ لو شيدت على التفكير
وتظلّ جامدة الجمال، كئيبةً كالهيكل المتهدّم المهجور
وتظلّ قاسية الملامح جَهمةً كالموت، مقفرة، بغير سرور

يستمر الشاعر في بيان جفاف الحياة بدون الشعور، ويدعو إلى أن يكون الشعور قائداً للإنسان في الحياة:

واجعل شعورَك في الطبيعة قائداً فهو الخبير بتيهها المسحور
صَحبَ الحياةَ صغيرةً ومشى بها بين الجماجم والدم المهدور
وغدا بها فوق الشواهق باسماً متغنياً من أعصر ودهور

ويرى الشاعر أن دور العقل ضئيل في الحياة، ولا يستطيع أن يرتفع إلى أسرار هذا العالم رغم ما فيه من غرور:

والعقلُ رغمَ مشيبه ووقاره مازال في الأيام جدٌّ صغير
يمشي فتصرعه الرياحُ، فينثني متوجعاً كالطائر المكسور
ويظلّ يسأل نفسَه متفلسفاً متنطّساً في خفّة وغرور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عمّـا تحجّبـه الكواكـبُ خَلفَهـا مـن سـرّ هـذا العـالم المـستور
وهو المهشّمُ بالعواصـف.. يا لَـهُ مـن ساذج متفـلسف معـرور

ويدعو إلى أن يعيشَ الإنسان "بقلب زاخر يقظ المشاعر حالم مسحور" عندئذ يدخل:

فـي نشـوة صوفيّـة قُدسيّـة هي خيـرُ ما في العالَم المنـظور

الحبيب المستاوي[١٠]

ولد بقرية في الجنوب التونسي سنة ١٩٢٣ وتـوفي بتـونس سـنة ١٩٧٥، تخرّج في جامع الزيتونة ثم درّس فيه، قصر شعره على الابتهال إلى الله ومدح رسول الله(ص). وفي مدائحه النبوية شكوى إلى الرسول مما تعانيه أمته مـن تفكك وليل طويل، وإشارات إلى الأمة التي ربّاها النبي الخـاتم وقادهـا إلى الخير وأسباب البقاء يقول:

بُعثـت لكـل الخلـق قائـدَ أمـةٍ إلى الخير في هذي الحياة وفي غَد
أحيطت بأسبابِ البقاء وفُـضّلت على الناسِ مادامت بهديك تقتدي
لقد قادت الدنيا إلى خير حقبـة وأرست صروح العدل في كلّ مشهدِ
وبالعلم والإبداع والخُلقِ أخصبت عقـولُ بني الإسلام في فجرنا الندي

ثم يلتفت إلى حال الأمة ويخاطب الرسول(ص) بقوله:

ألا يا رسول الله قد طـال ليلنـا وكم طال ليلٌ للمـريض المسهَّد
أنبقـى على ذلٍّ وتفكيك وحدة وتمزيق شمل بين باغٍ ومعتـد؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خاتمة

ما ذكرناه هو عدد من شعراء تونس الذين تخرجوا في جامع الزيتونة في العصر الحديث، ومن استعراضهم يتّضح:

١ - إن الخطاب الشعري لدى هؤلاء الشعراء كان استنهاضًا يدعو إلى عودة الحياة إلى الأمة، ومقارعة عوامل الضعف والتخلّف، وهذا يؤكد حقيقة دور الدين في الإحياء، ومن الواضح أن المشروع الإسلامي يمكن تلخيصه بكلمة الإحياء، نرى ذلك بوضوح في كل تفاصيل المشروع عقيدة وشريعة. والنصّ القرآني يأتي ليؤكد هذه الحقيقة بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

٢- إن الدراسات الدينية ينبغي أن لا تنفصل عن الدراسات الأدبية بل عن الذوق الأدبي. فالأدب اقترن دائمًا بالدين، لاشتراكهما في إحياء الشعور، ولارتباطهما في مخاطبة القلب والروح، وانفصال الدراسات الدينية عن الأدب يحوّل الخطاب الديني إلى خطاب جاف لا يدخل شغاف القلب، ولا يلامس الشعور والوجدان.

٣- إن النهضة الأصيلة في هذه الأمة لابدّ أن تستمدّ جذورها من الماضي وأن تعاصر الواقع الراهن وتتطلع إلى المستقبل، عندئذ ستهزّ المجتمع وتحركه على طريق التقدم والرقي. وبدون توفر هذه العناصر (الجذور، الانفتاح على الواقع الراهن، التطلع إلى المستقبل) لا يمكن أن تسمى نهضة حقيقية متكاملة.

٤- إن النهضة التي بدأت في مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وامتدّت إلى أرجاء العالم الإسلامي كان بإمكانها أن تتحول إلى نهضة إحياء كاملة، تعيد للأمة عزّتها وكرامتها ومكانتها بين الأمم، لكن الهجوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشديد الذي واجهته من قوى الغرب أجهضت هـذه النهـضة، وخاصـة مـا حدث في أثناء الحربين العالميتين وسقوط الدولة العثمانية وحركة الاستعمار، وزرع الكيان الصهيوني. هذه الأحداث جعلت حالة الذل والتراجع واليـأس والإحباط تخيّم على هذه الأمة، لكن ماحدث في النصف الثـاني مـن القـرن العشرين وما تلاه أعاد الأمل ثانيـة إلى أن ينـهض الـدين وعلمـاء الـدين والمؤسسات الدينية الواعية بدورها ثانية في عملية الإحياء، ومن المؤمـل أن تستفيد هذه الصحوة من تجارب الماضي، وتصمد أمام التحديات الهائلة.

الهوامش:

١ - لقد كان للشيخ محمد عبده تلميذ السيد جمال الدين زيارتان لتونس وللزيتونة، الأولى سنة ١٨٨٥ أي بعد أربع سنوات من الاحتلال الفرنسي، والثانية سـنة ١٩٠٣، وكانـت حـدثًا ثقافيًا دينيًا كبيرًا في الأوساط التونـسية، والتقـاه في تلـك الزيـارة وقـف محمـد عبـده علـى الإصلاحات التي جرت على مناهج التعليم في الزيتونة، مما أثار إعجابـه فقـال: «إن مـسلمي الزيتونة سبقونا إلى إصلاح التعليم، حتى ما كان يجرون عليه في جامع الزيتونة خيرًا مما عليـه أهل الأزهر». (بلقاسم الغالي، محمد الطاهر بن عاشور.. حياته وآثاره).

٢- للشيخ محمد الخضر حسين مؤلفات في الفقه والدعوة والأدب منها: رسـائل الإصـلاح في ٣ أجزاء، عرض فيه مشروعه للنهوض بالعالم الإسلامي. والخيال في الشعر العـربي، وآداب الحرب في الإسلام، وتعليقات على موافقات الشاطبي، وديوان شـعر «خـواطر الحيـاة» (أنـور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا؛ علي عبد العظيم، مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن).

٣- محمد علي آذرشب، دور السيد جمال الدين في الأدب الحـديث، عـروة نـشره خاصـة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بمناسبة مؤتمر السيد جمال الدين الأسد آبادي ص ٢٠٢.

٤- تاريخ الأدب التونسي، الحديث والمعاصر، ص ٤٠.

٥- صدر له بعد الاستقلال «ديوان صالح سويسي».

٦- انظر: الأدب الحديث والمعاصر، مصدر مذكور، ص ٢٠-٢١.

٧- صدر له «ديوان الرياض».

٨- صدر له كتاب «امرأتنا في الشريعة والمجتمع» سنة ١٩٣٠ فثارت حوله ضجة، قضى على أثرها نحبه (الأدب الحديث والمعاصر، مصدر مذكور، ص ٤٨-٥١).

٩- موسوعة الشابي، محمد الحليوي (١٩٠٧-١٩٧٨)، والحليوي صديق الشابي، واتجاهه خلاف صديقه عقلي لا عاطفي، وله ديوان «تأملات» من إصدار مؤسسة بيت الحكمة بقرطاج سنة ١٩٨٧ في ٨٥ صفحة.

١٠- أسس مجلة «جوهر الإسلام» وأصدر مجموعة أشعاره تحت عنوان: «مع الله».

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصادر:

١- ديوان صالح سويسي، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٧ .
٢- ديوان خواطر الحياة، لمحمد الخضر حسين، القاهرة، ١٩٥٣.
٣- محمد الطاهر بن عاشور.. حياته وآثاره، بلقاسم الغالي دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٩٩٦.
٤- الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥ .
٥- مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة ١٩٧٩.
٦- العروة الوثقى، نشرة خاصة بمناسبة مؤتمر السيد جمال الدين، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية طهران ١٣٧٥ هـ .ش .
٧- الادب الحديث والمعاصر، محمد صالح بن عمر، بيت الحكمة، قرطاج، ١٩٩٠ .
٨- تاريخ الادب التونسي الحديث والمعاصر، مجموعة من الباحثين، بيت الحكمة، قرطاج ١٩٩٣.
٩- الشابي، ؛إعداد محمد الحليوي، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للابداع الشعري، الكويت، ط ١، ١٩٩٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com